حرفا التفسير (أيْ) و(أنْ): وظيفتهما النحوية وأثرهما في الإبانة عن دلالة الإشارة الحسية في الحديث الشريف

علي محمد نور المدني

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة البحرين

الملخص

اعتمدت هذه الدراسة على خمسة وعشرين حديثاً مستخلصاً من أصل ثلاثمائة حديث متضمنة إشارات حسية مختلفة. والأحاديث الخمسة والعشرون اختصت بتفسير هذه الإشارات تفسيراً لفظياً مقروناً بأحد حرفي التفسير: (أيْ) أو (أنْ).

ولولا الحركة الحسية لما لزم تفسير الكلام المنطوق - في رواية الحديث وغيره من نصوص الرواية الشفهية - تفسيراً لفظياً؛ لأن الحركة فيها لغة غير منطوقة، والرواية لغة منطوقة، فلزم نقل الحركة إلى لغة لفظية؛ لإيصال المعنى إلى متلقي الحديث لفظاً في غياب مشاهدته الحركة.

وتبين من تتبع الإشارات في الحديث أنها كثيراً ما تفسر لفظياً بإحدى أداتي التفسير (أيْ) أو (أنْ)، وأنّ الثانية ترد بكثرة في تفسير الإشارات الحسية. واتضح أن الإشارات في الحديث غالباً ما تقع مفسرة، وقد لا تكون كذلك أحياناً. ويكون تفسيرها إما بأداة تليها جملة فعلية أو اسمية، وإما بغير أداة فتقوم الجملة الحالية مقام التفسير. وإذا وقعت غير مفسرة، فعندئذ إما أن تكون دلالتها مفهومة من السياق، وإما أن تكون دالة على التعيين، فتستغني عن التفسير. وقد تم تأييد ذلك كله بشواهد مختلفة من نصوص الحديث الشريف، فاجتمعت أحاديث كثيرة تكشف عن أهمية لغة الإشارة، وبخاصة حين يتعذر التواصل باللغة المنطوقة.

وخرجت الدراسة بتوجيه إعراب الجملة المفسرة للإشارة الحسية بدلاً، على أنها بدل جملة من جملة، أو حالاً في بعض المواضع. وبدا أنه قد تقع الإشارة الحسية موقع العامل النحوي حيثما يصح فيها تأويل المعنى لفظاً.

ووقع الاستشهاد بأحاديث كشفت أن الجملة الفعلية المفسرة بـ (أنْ) لا يشترط فيها أن تكون مصدرة بفعل مضارع خلافاً لما ذهب إليه كثير من النحويين، بل قد يتصدرها الأمر، وقد يتصدرها الماضي.

مقدمة

تستهدي هذه الدراسة بجهود العلماء في دراسة النحو الإشاري[1]، وهو مبحث جديد في اللسانيات الحديثة، مازال في مرحلة التأسيس، وإذا اكتملت معالمه وترسخت قواعده، فإنه يسد نقصاً كبيراً في حقل الدراسات اللغوية، ويعين كثيراً في فهم الإشارات البدنية المصاحبة للغة المنطوقة، سواء في مقاصدها الدلالية أم في تراكيبها النحوية.

ولقد ألمحنا في بعض الدراسات السابقة[2] إلى أن دراسة أثر الإشارات البدنية في فهم المعاني المجردة أمر ميسور واضح، لا يكلف جهداً كبيراً. وأما الوقوف على أثرها النحوي، وتأمل علاقاتها بالتركيب، والوقوف على أثرها النحوي في الجملة، فذلك يلزمه النظر الدقيق في الإشارات والحركات وتحليلها تحليلاً لغوياً ونفسياً من أجل ربطها بالقواعد النحوية، واستنباط ما فيها من أحكام.

ولقد ألفيت محمد كشاش معنياً بإبلاغ الرسول – صلى الله عليه وسلم – من خلال دراسة الإشارة غير الشفوية في الحديث الشريف، ولكنه لم يقف على أثر الإشارة في التركيب[3]. ولذلك تصنف دراسته ضمن الدراسات المهتمة بأثر الإشارات البدنية في المعاني دون معالجة وظائفها النحوية.

ولعل الحديث الشريف من أفضل النصوص الفصيحة مجالاً لإجراء الدراسات التطبيقية، واستخلاص ما فيه من قواعد وأحكام نحوية؛ فهو ميدان واسع، وحقل خصب، لم يظفر بالعناية الكافية، منذ أن أثار بعض النحاة الخلاف في جواز الاحتجاج به على إثبات القواعد النحوية، لأسباب فصلنا تفاصيلها في بحث قديم، وانتهينا ثمّ إلى جواز الاستشهاد به - بشروط - معتمدين على طائفة من الأدلة والبراهين[4].

وفي الأحاديث الشريفة إشارات بدنية كثيرة تصدر منه - عليه الصلاة والسلام - مصاحبة لكلامه الشريف. وكثير من هذه الإشارات تصدر غير مقرونة بلفظ، وتكون ذات دلالات واضحة لمن شهد الموقف، وحضر المقام، وسمع

منه - عليه السلام - مباشرة، ثم روى عنه معبراً عن الإشارة باللفظ بعد أن استوعب معنى الإشارة الحسية.

وقد كانت تلك الإشارات تحل محل الألفاظ والتراكيب، فلزم على الراوي أن يصوغ الإشارة البدنية، غالباً، بلفظ منطوق، وبذلك أحيلت الإشارات الحسية المصاحبة للكلام إلى لغة لفظية، لإيصال هيئة الحركة ومعناها إلى كل متلق للحديث لم يحضر سماعه مشاهدة، ولم يقف على سياقه معاينة. يقول مهدي عرار: "ومما يشيع في درس السياق، مشاهدة الأحوال واعتبار الوجوه، ولعل تغييبها يعمل على تخلق اللبس"[5]. ولأجل دفع اللبس عن المتلقي وصفت تلك الإشارات في الحديث وصفاً دقيقاً؛ كي تكون حاضرة في ذهنه.

ولقد عني محمد كشاش بإبلاغ الرسول - صلى الله عليه وسلم - من خلال دراسة الإشارة غير الشفوية في الحديث الشريف، ولكنه لم يقف على أثر الإشارة في التركيب[6].

وقد جمعت ثلاثمائة حديث مما تضمن إشارات بدنية، وتم اتخاذ هذه الأحاديث قاعدة لدراسة تطبيقية على الحديث الشريف، يظهر من نصوصه أثر هذه الإشارات في القواعد النحوية، ويستخلص منها طائفة من شواهد نحوية لم يسبق النظر فيها، لتوجيهها في ضوء فهم قواعد النحو الإشاري.

وقد تبين من هذا الجمع أن بيان الإشارة الحسية كثيراً ما يقع إيضاحه وتفسيره بـ(أيْ) أو (أنْ) التفسيريتين، وذلك مما يستحق الدراسة التأملية، والبحث الجاد، للكشف عن أثر الإشارة البدنية في القاعدة النحوية باستخدام أداتي التفسير المعروفتين، وذلك بتتبع مواردهما في الأحاديث المجموعة لهذه الدراسة.

وفي الحديث الشريف ورواياته مجال واسع ومصدر موثق لمثل هذه الدراسة؛ ذلك أنه أفصح نص نثري عربي بشري، وأنه وصل إلينا مروياً بما صاحب لفظه من مختلف الحركات والإشارات البدنية، الإرادية منها

واللاإرادية، نقلها الصحابة والرواة من بعدهم ببالغ الدقة،[7] فيما عرف في مصطلح الحديث بالحديث المسلسل الذي يتتبع فيه الرواة ما صاحب لفظ الحديث من إيماءات وإشارات تتبعاً دقيقاً.

والحديث المسلسل هو ما تتابع رجاله على صفة من الصفات أو حالة من الحالات،[8] هذه الصفة أو الحالة قد تكون إشارة أو حركة يؤديها الرواة خلفاً عن سلف.

وقد صنف فيه طائفة من العلماء. ذكر السخاوي أنه سمع جزءاً من الحافظ الذهبي سماه "العذب السلسل في الحديث المسلسل"[9]. ومنه كتاب المناهل السلسة في الأحاديث المسلسلة، لمحمد عبد الباقي الأيوبي[10]. وهو عدة أنواع، ومنه ما يحاكي فيه الراوي الهيئة التي كان يكون عليها النبي- عليه الصلاة والسلام- عند تلفظه بالحديث، كأن يقول: "حدثني الحديث تبسماً"، فيبتسم، فإذا تابعه الرواة كلهم في فعل ذلك سمي الحديث مسلسلاً فعلياً، أو مسلسلاً بأحوال الرواة الفعلية، ومنه حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: "شبك بيدي أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم- وقال خلق الله الأرض يوم السبت"[11]. فهذا الحديث تسلسل بتشبيك كل واحد من رواته يده بيد من رواه عنه، ولذلك فهو مسلسل بأحوال الرواة الفعلية. ومنه حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعاً: "لا يؤمن العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وقبض رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على لحيته، وقال: آمنت بالقدر"[12].

وهذا الحديث مسلسل بقبض كل واحد من رواته على لحيته عند قوله: "آمنت بالقدر"[13]. وهناك مسلسلات أخرى فعلية كثيرة، منها المسلسل بوضع اليد على الرأس[14]، والمسلسل بوضع اليد على الكتف،[15]والمسلسل بالعد في اليد[16]، والمسلسل بأخذ اليد.[17]

ولا تقتصر الأحاديث التي تضمنت الإشارات البدنية على الحديث المسلسل، بل هذه الإشارات ظاهرة واضحة في رواية الحديث بمختلف أنواعه.

وهي تكثر بوجه خاص في الأبواب التي تتناول صفة صلاته ووضوئه وتيممه – عليه الصلاة والسلام – وفي أبواب أخرى كثيرة متفرقة في كتب الحديث.

والأحاديث الثلاثمائة التي تأسست عليها هذه الدراسة كلها صحيحة، أو بدرجة(حسن) أحياناً، وهي درجة من درجات الصحيح عند علماء الحديث، وإن كان أدنى من الحديث الصحيح[18]. على أن الاستشهاد بالحسن ورد في البحث قليلاً، مع القناعة التامة أنه لا غضاضة من الاستشهاد به على القواعد النحوية؛ لأنه مقبول لدى أكثر العلماء، ويستعمله عامة الفقهاء[19]. وليس من الضرورة الاستشهاد بها كلها، وإنما جرى الاكتفاء بأمثلة توضيحية، منها بحسب الحاجة؛ ذلك أن عمل الإشارة في القاعدة النحوية يتكرر كثيراً وبخاصة مع (أنْ) و(أي) التفسيريتين. ولذلك فالاقتصار على بعض الأحاديث يفي بحاجة هذه الدراسة، ويغني عن التكرار.

وقبل الشروع في دراسة الأحاديث، لابد من بيان أن بنية الدراسة كلها قائمة على ظاهرة التقدير والتأويل في النحو العربي؛ لأن الإشارة المجردة ليس لها أثر نحوي، وإنما يقع عملها نحوياً، بتأويل كلام محذوف، لأن النحو يعالج الجملة في تركيبها، وما لم يفهم كلام منطوق، يقدر من هيئة الإشارة، لا يقع عمل لها مؤثر في الألفاظ. وهذا الكلام المقدر المفهوم على هذا النحو يعد من أقوى أنواع الأدلة على الحذف في الكلام العربي؛ لأن تقدير المحذوف مستمد من إشارة مرئية في أصلها، وليس من مجرد ما تطلبه الصناعة النحوية.

المشار به

تتعدد أنواع الإشارات البدنية في الحديث الشريف بحسب أعضاء الجسم المستخدمة في الإشارة؛ فقد تقع الإشارة باليد الواحدة في صور وهيئات مختلفة، وكذلك تقع الإشارة باليدين كلتيهما، أو بكف واحدة، أو باثنتين، وقد تقع بإصبع واحد أو بإصبعين، أو أكثر، وقد تصدر الإشارة من العين، وقد تظهر على الوجه، أو يشار به،[20] أو بالرأس كله. وقد تكون الإشارة بوساطة أداة كالعصا والسلاح ونحوهما.

المشار إليه

ترد الإشارة في الحديث النبوي الشريف إلى أشياء كثيرة، منها إشارات إلى الذوات والمحسوسات، وتكثر الإشارة في هذا النوع إلى أعضاء الجسم كاللسان، والأذن، والعين، والحلق، واللحية، والنحر، والصدر. وقد تكون الإشارة إلى ذوات أخرى غير أعضاء الجسم، ومنها: الإشارة إلى القمر والأفق والحيوانات وغيرها. وأما الإشارة إلى المعاني فهي كثيرة متنوعة، ومنها: الإشارة إلى معاني الأوامر المختلفة كالتقدم والتأخر والثبات والجلوس والقيام والخروج وغيرها. ومثل هذه المعاني يكثر فيها تفسير الإشارة بـ (أيْ) وبـ (أنْ). وقد تقع الإشارة موصوفة بحركاتها الحسية ومقرونة بأسماء الإشارة، وقد يكتفى بالوصف الحسي للإشارة دون ذكر أسماء الإشارة في الوصف، هذا فضلاً عن كثرة ورود أسماء الإشارة في الحديث الشريف من غير وصف حسي لكيفية الإشارة، وبخاصة إذا كان الهدف من الإشارة تعيين المشار إليه كما سيأتي.

تفسير الإشارة

الإشارة – في حد ذاتها وفي أصلها – حسية تؤدى بالحركات، أو تعرف من الملامح، وبخاصة ملامح الوجه وتعبيراته المختلفة؛ ولذلك فهي سبيل تواصل غير لفظي مصاحب للغة اللفظية. وبعد تدوين الحديث الشريف سجلت الإشارات الحسية بوصف دقيق من قبل الرواة، وأما في أثناء أداء الرواية فقد أخذ المحدثون على أنفسهم تأدية النص المروي لفظاً، وتأدية ما صاحبه من الإشارات بالحركة البدنية المحسوسة، كما تبين سابقاً فيما عرف بالحديث المسلسل وغيره. وقد فسرت معظم الإشارات الحسية من قبل الرواة، تفسيراً لفظياً موصوفاً في كتب الحديث ابتغاء الدقة في بيان الأداء، وطلب الوضوح في فهم المقاصد.

هذا التفسير يعنينا كثيراً في الدرس النحوي؛ لأنه بالتفسير تحول الإشارة الحسية – في ذهن السامع – بلغتها غير اللفظية إلى تراكيب مكونة من جمل ذات ألفاظ ظاهرة أو مقدرة، وبهذا يظهر أثر الإشارة البدنية في تركيب الجملة، وما

يحكمها من القواعد النحوية. وإذا تم تفسير الإشارة على هذا النحو عرف المعنى المراد، فلولا مثل هذا التفسير لما ظهرت المقاصد، فمثلاً لو أشار أحد إليّ إشارة محددة، يفهمها كل أحد يراها ثم ذكرت هذه الإشارة مكتوبة قائلاً: "أشار إليّ فلان" وسكت، لما فهم المعنى المقصود، حتى أفسر حركة الإشارة الحسية بتعبير لفظي قائلاً: "أشار إليّ فلان أنْ قمْ، أو أن اجلسْ" أو غير ذلك، وبهذا التفسير يفهم معنى الإشارة، وتثبت هيئتها الحسية في الذهن، وهي في هذا الأمر إشارة اليد بكف أصابعها ممدودة – من غير تفريج بينها – إلى أعلى، مع رفع الذراع الممدودة كذلك باستقامة أمام الجسم مرة واحدة؛ وذلك للدلالة على معنى(قمْ). ولتفسير معنى الجلوس تكون الإشارة بالهيئة نفسها، ولكن بتحريك الذراع إلى أسفل مرة واحدة، مع كون باطن الكف موجهاً إلى أسفل.

وبتتبع الأحاديث التي أسست عليها هذه الدراسة، تتبين المظاهر الإشارية على النحو الموضح في الشكل البياني الآتي:

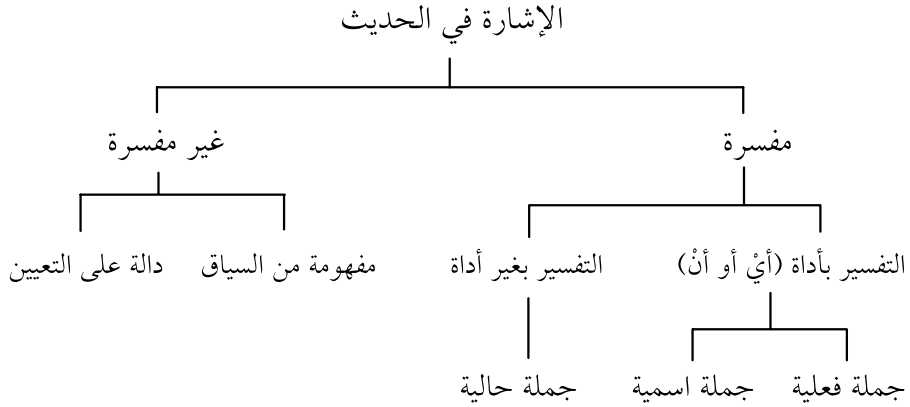

وسنقف على تفاصيل هذه الأقسام من خلال ورودها في الحديث الشريف.

تفسير الإشارة الحسية بـ (أيْ)

ومن شواهده:

1 – حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه، فكان يصلي بهم، فوجد

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خفة، فخرج، وإذا أبو بكر يؤم الناس، فلما رآه أبو بكر استأخر، فأشار إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أيْ كما أنت، فجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والناس يصلون بصلاة أبي بكر[21].

2 – وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –: فلما رآه الناس؛ أي النبي – صلى الله عليه وسلم – سبّحوا بأبي بكر، فذهب ليسْتأخر، فأوْمأ إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – أيْ مكانك[22]. لا شك أن أصل الرواية في الحديثين قائم على الإيماء منه – عليه الصلاة والسلام – إلى أبي بكر، دون نطق باللفظ الدال على معناه، فعرف أبو بكر – رضي الله عنه – أن معنى الإيماء أن يلزم مكانه، وعرف ذلك ابن عباس – رضي الله عنهما – ففسر معنى الإيماء بقوله: "أي مكانك"، وعرفته عائشة – رضي الله عنها – ففسرته بقولها: "أي كما أنت". والإشارة الحسية بالمعنيين غالباً ما تكون بتحريك الكف – من الرسغ – من غير تفريج بين الأصابع مرتين أو ثلاثاً إلى أسفل ثم إلى أعلى. وكلا التفسيرين معناهما واحد، وكلاهما مصدّر بـ "أي" التفسيرية لبيان المقصود من إيمائه، عليه الصلاة والسلام.

والتفسيران يحملان تقدير الكلام المحذوف المفهوم من الإشارة؛ مما يدل على أن الإشارة قامت بوظيفة اللفظ أو الألفاظ المحذوفة.

و(أي) هي الأصل في التفسير؛ لأن (أن) المفسرة يقاس عليها، قال سيبويه: " هذا باب ما تكون فيه أن بمنزلة أيْ"[23]، فجعل (أيْ) هي الأصل، وجعل (أنْ) بمنزلتها في التفسير.

وذهب النحويون إلى أن (أيْ) أعم من (أنْ)[24]؛ مما يدل على أنها هي الأصل، ونص عليه الميلاني بقوله: "(أيْ) أعم استعمالاً من (أنْ)؛ لأن (أنْ) لا تجيء مفسرة بعد القول الصريح، ولا بعد فعل لا يكون بمعنى

القول، بخلاف (أيْ) فلا يقال: قلته أن قم، ولا يقال أيضاً ضربته أن قم "[25].

والتفسير بـ (أيْ) - وإن كانت الأصل في التفسير- قليل في الحديث كما يتبين من الأحاديث المجموعة لهذه الدراسة، خلافاً للتفسير بـ (أن) التي كثر ورودها في الحديث.

و(أيْ) تفسر المفرد وتفسر الجملة. وقد جاءت في الحديث الثاني مفسرة المفرد، وهو الضمير العائد على رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وجاءت فيه مرة أخرى وفي الحديث الثاني مفسرة الجملة التي قبلها، وهي جملة (أشار)، في رواية عائشة - رضي الله عنها - وجملة (أومأ)، في رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

وبهذا تكونت من الإشارة الحسية جملة (مكانك)، على تأويل فعله المحذوف، (أي) الزم مكانك، بحسب رواية ابن عباس، رضي الله عنهما، فيكون (أومأ) بحركته الحسية أوجد في الذهن ثلاثة محذوفات تكوّن جملة فعلية تامة من فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ويكون (أشار)- بحسب رواية عائشة، رضي الله عنها - بحركته الحسية، أوجد في الذهن جملة (كما أنت)، (أي كن كما أنت)، أو (استمر كما أنت)، فيكون المحذوف المقدر في الذهن جملة اسمية مكونة من كان وما بعدها، أو جملة فعلية مكونة من فعل وفاعل مستتر وجار ومجرور بعده مبتدأ خبره محذوف تقديره كائن، أي: (استمر كما أنت كائن). وتقدير الإشارة بالفعل استمر يعضده تقدير آخر ورد في:

3 - حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - حين تخلف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لقضاء حاجته، قال: "فأتينا الناس وعبدالرحمن بن عوف يصلي بهم الصبح، فلما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يتأخر، فأومأ إليه أن يمضي.." [26] الحديث.. فتفسير الإيماء بالمضاء يفيد معنى الأمر بالاستمرار.

وقد وقع التفسير في هذا الحديث بـ (أنْ) متبوعة بجملة فعلية من فعل وفاعل مستتر. والتفسير بـ (أنْ) كثير في الحديث، وهي تأتي مفسرة: "إما للطلب وإما للكلام، فتقول: أمرتك أن قمْ، وانطلقت أن مشيت، ومعناها في المكانين معنى أي المفسرة"[27]. ومثال الطلب:

4 - حديث زياد بن علاقة قال: "صلى بنا المغيرة بن شعبة، فلما صلى ركعتين قام، ولم يجلس، فسبح به من خلفه، فأشار إليهم أن قوموا، فلما فرغ من صلاته سلم، وسجد سجدتي السهو، وقال: هكذا صنع رسول الله، صلى الله عليه وسلم"[28].

هذا الحديث يكشف عن أهمية الإشارة حين يتعذر الكلام، كما في الصلاة، فلا يجوز الكلام فيها، فكانت الإشارة لغة التواصل لأداء المطلوب. وفسرت الإشارة بـ (أنْ). وبعدها جملة فعلية مكوّنة من الفعل والفاعل المقدر من معنى الطلب المفهوم من الإشارة، قدرها الراوي بـ (قوموا).

ومثال دلالة (أنْ) على الطلب أيضاً:

5 - حديث عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- أنها قالت: " صلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في بيته وهو شاك، فصلى جالساً، وصلى وراءه قوم قياماً، فأشار إليهم أن اجلسوا. فلما انصرف قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا صلى جلوساً فصلوا جلوساً"[29]. وأما مثال مجيء (أنْ) مفسرة للكلام فشاهده:

6 - حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن يهودياً قتل جارية على أوضاح لها[30]، فقال لها: أقتلك فلان؟ فأشارت برأسها أن لا. ثم سألها الثانية، فأشارت برأسها أن لا. ثم سألها الثالثة، فأشارت برأسها أن نعم. فقتله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين حجرين"[31].

ويكثر مجيء (أنْ) مفسرة للكلام، بعد الاستفهام تفسيراً لمعنى الإشارة الحسية. وقد وقع في هذا الحديث ثلاث مرات جواباً عن الاستفهام: مرتين،

للدلالة على النفي، وتكون هيئة الإشارة الحسية الدالة عليه بتحريك الرأس مرة أو مرتين يميناً وشمالاً، ويكون تقدير معنى النفي في أداء الجارية: (لا لم يقتلني فلان) جواباً عن قوله: أقتلك فلان؟ فقامت الحركة الحسية مقام جملة فعلية منفية مؤلفة من فعل وفاعل ومفعول به.

وفي المرة الثالثة دلت حركة إجابة الجارية على الإيجاب رداً على السؤال السابق، ويؤدى فيها معنى (نعم) بهز الرأس مرة أو مرتين أعلى وأسفل، ويكون تقدير المعنى الذي قصدته الجارية عندئذ: (نعم قتلني فلان)، فعملت الحركة الحسية في جملة فعلية تامة مسبوقة بحرف الجواب. وهذا موقف من المواقف التي يتعذر فيها الكلام، فلا سبيل إلى التعبير فيه عن المقاصد إلا بلغة غير لفظية، لأن الجارية كانت على شفا الموت، فلم يتح لها النطق بالكلام، وإنما عبرت عن مرادها بالإشارة الواضحة، ففسرها الراوي بالنفي مرتين، وبالإيجاب مرة، معتمداً في تفسيره على (أن) المفسرة. وجلي في اللغة أن (أن) المفسرة يكثر ورودها في تفسير الإشارات والإيماءات الحسية، فتقوم بتوضيح المعنى المراد من الإشارة دفعاً لتوهم الاحتمالات. وما أحسن ما ذهب إليه السهيلي في بيان هذه الحقيقة إذ يقول: "وأما (أن) التي للتفسير فليست مع ما بعدها في تأويل المصدر، ولكنها تشارك (أن) التي تقدم ذكرها [أي المصدرية] في بعض معانيها؛ لأنها تحصين لما بعدها من الاحتمالات، وتفسير لما قبلها من المصادر المجْملات، التي في المقالات والإشارات، فلا تكون تفسيراً إلا لفعل في معنى التراجم الخمس الكاشفة عن كلام النفس؛ لأن الكلام القائم في النفس والغائب عن الحواس في الأفئدة، تكشفه للمخاطبين خمسة أشياء: اللفظ، والخط، والإشارة، والنَصب،[32] وهي لسان الحال، وهي أصدق من لسان المقال. فلا تكون (أن) المفسرة إلا تفسيراً لما أجمل من هذه الأشياء"[33].

ثم راح السهيلي يقرر أن (أن) المفسرة هي (أن) المصدرية، يقول: "وإذا كان الأمر فيها كذلك، فهي بعينها (أن) التي تقدم ذكرها [أي المصدرية]؛ لأنها إذا كانت تفسيراً، فإنما تفسر الكلام، والكلام مصدر، فهي إذن في تأويل المصدر، إلا أنك أوقعت بعدها الفعل بلفظ الأمر والنهي، وذلك مزيد فائدة،

ومزيد الفائدة لا يخرج الفعل عن كونه فعلاً؛ فلذلك لا تخرج (أنْ) عن كونها مصدرية "[34].

والقول بهذا يفضي إلى تأويل الإشارات البدنية – المقرونة بأن المفسرة – بمصدر، ولكن باحتراز نص عليه السهيلي بقوله: "وأما (أنْ) وما بعدها فإنها – وإن كانت في تأويل المصدر – فإن لها معنى زائداً لايجوز الإخبار عنه، ولكنه يراد ويكره ويؤمر به "[35].

إعراب الجملة المفسرة بحرفي التفسير (أنْ) و (أيْ)

وقع خلاف في محل الجملة المفسرة، فذهب ابن هشام وآخرون إلى أنّ (أنْ) ليس لها محل من الإعراب[36]، وهذا هو القول المشهور فيها، واحتج ابن هشام له بعدة شواهد، ولكنه خَرّج في معظم شواهده تأويلاً لمواقع إعرابية لها، مستشهداً في ذلك بأقوال الكوفيين، وأبي علي الفارسي، وابن عصفور، وببعض أقوال لم ينسبها، ثم نص على هذا الخلاف بقوله: "قولنا إن الجملة المفسرة لا محل لها خالف فيها الشلوبين، فزعم أنها بحسب ما تفسره"[37]، والتحقيق عند السيوطي: "أنها على حسب ما كانت تفسيراً له، فإن كان المفسر له موضع فكذلك هي، وإلا فلا "[38].

وقد كان للبلاغيين إسهام كريم في دراسة هذه المسألة الخلافية، وهم يعالجون مبحث الفصل والوصل في اللغة. والرجوع إلى تحليلاتهم مفيد في ربط الجملة المفسرة بالإشارة الحسية، آخذين بدعوة السهيلي إلى أن "تعمل الإشارة فيما يعمل فيه اللفظ "[39]، مع ربط هذه الدعوة بالتأويل والتقدير لألفاظ مفهومة من الإشارة، وما يفرضه سياقها من دلالات. يقول بدر الدين بن مالك (ابن الناظم): "فالجملة متى نزلت مما قبلها منزلة العارية عنه؛ لأنه أريد قطعها عنه، أو إبدالها منه، أو منزلة نفسه لكمال اتصالها به، لكونها موضحة له أو مبينة أو مؤكدة له، لم تكن موضعاً لدخول الواو، وكذا إذا لم يكن بينها وبين الأولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها، وإنما يكون موضعاً لدخولها إذا توسطت بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع، ولكل من ذلك مقام يقتضيه "[40].

ويحق لنا أن نوجه هذا التحليل لتعرف حقيقة محل الجملة المفسرة من الإعراب، والأمر هنا يختص بالجملة المفسرة للإشارات البدنية. هذه الجملة تقع من الإشارة موقع الإبدال وموقع التوضيح والتبيين، فهي تابعة للإشارة البدنية، وهذه الإشارة بمثابة متبوع للتفسير. وإذا ثبت هذا صح أن تعرب الجملة المفسرة لهذه الإشارة بدلاً من الإشارة، لأن البدل يجري "مجرى النعت في تكميل متبوعه توضيحاً وتخصيصاً وتوكيداً" (41). يؤيد هذا التوجيه إلى البدلية ما ذكره ابن الناظم شرحاً لقوله المقتبس آنفاً من أن اقتضاء الإبدال مقام للقطع، يقول: وأما المقتضي للإبدال، فأن يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد، والمقام مقام اعتناء بشأنه؛ لكونه مطلوباً في نفسه، أو فظيعاً، أو غريباً، أو عجيباً، أو لطيفاً، أو نحو ذلك" (42).

وهذه هي حقيقة الإشارة البدنية، فإن معناها واضح لمن شاهدها ورآها، وأما المتلقي معناها عن طريق الرواية، فإنه يحتاج إلى بدل لفظي عن الإشارة الحسية، ليفي بحقيقة المراد الذي يقع موقع اعتناء؛ لأنه مطلوب في نفسه على حد تعبير ابن الناظم.

ولا ضير في وقوع المبدل منه إشارة بدنية، إذا أبانت الألفاظ عن معاني الإشارات، فقد نقل الطيبي أنه "إذا حصلت فائدة البيان لم يبال أمنْ نفس المبدل كانت، أم مما اتصل به فضلة أو غيرها. فإن أكثر الفوائد إنما يجتنى من الإلحاق والفضلات" (43).

والإيضاح من أهم مقاصد التفسير، ولهذا كان لزاماً على راوي الكلام المصحوب بالإشارة البدنية أن يوضح معنى الإشارة لفظاً، ولذلك ساغ أن تقع الجملة المفسرة للإشارة البدنية بدلاً؛ لأنها توضح للمتلقي القصد من الإشارة الحسية قبلها، وقد قيل في تعريف هذه الجملة أنها "الفضلة الكاشفة لحقيقة ما تليه" (44).

ونستند في هذا التوجيه – إلى البدلية – إلى دعامة أخرى عند محمد بن علي الجرجاني أرساها في تناوله علاقة الجمل بعضها ببعض فصلاً ووصلاً. إنّ معرفة هذه العلاقة ركن ركين في تعيين موقع الجملة المفسرة. فالجرجاني يرى

أن الجملة الثانية – إذا تعلقت بالأولى – تكون كالبدل من الأولى، أو كتأكيد لها، أو كعطف بيان لها، أو كجواب عنها. ويجمع هذه العلاقات الأربع عنده (تعلق تكميل) فيما بينها[45]، أي أن الجملة الثانية تكون مكملة للأولى بوجه من الوجوه.

وعلاقة التكميل في البدلية بين البدل والمبدل منه واضحة جداً في تفسير الإشارات البدنية، على النحو الذي ذكرناه سابقاً.

ووقف الطيبي على مثل هذه العلاقة ذاكراً أن الفصل قد يقع "إما لأن في الكلام السابق نوع توهم للتجوز، فيؤتى بكلام آخر دفعاً له، وتقريراً للمراد"[46]. قلت: وهذا يقع في الكلام المصحوب بالإشارات الحسية، وبخاصة إذا كانت الإشارة ركناً في المعنى، فيقع الوهم واللبس لمن لم يشاهدها، فتقوم الجملة المفسرة بدفع هذا الوهم.

وإما لوقوع "نوع خفاء فيقصد إيضاحه"[47]، وذلك مما يلزمه التفسير، فتقع الجملة المفسرة بدلاً من الإشارة التي خفيت على المتلقي؛ لتوضح القصد من الإشارة.

وإذا سلمنا بقول كثير من النحويين إن الجملة المفسرة لا محل لها من الإعراب، فإننا نخالفهم في الجملة المفسرة للإشارة الحسية، التي لا يدرك معنى الإشارة فيها إلا من شاهدها في سياقها، كما سبق بيانه، فهي بدل من الإشارة.

وبهذا نذهب مع ما قرره حسني عبد الجليل يوسف من "أن النحاة من البلاغيين كانوا أكثر إدراكاً من غيرهم لوقوع الجملة المفسرة موقعاً إعرابياً، حيث لم يقصر تفسيرهم للموقع على قالب جامد بل جعلوه يتصل بدلالة الجملة وقيامها مقام البدل أو عطف البيان اللذين يتضمنان توكيداً للمتبوع"[48].

ولو رجعنا إلى الحديث الشريف للوقوف على إعراب الجمل المفسرة بـ (أنْ) و(أيْ) متأملين هيئة الإشارة قبلهما، ودلالة الجملة التفسيرية بعدهما، في ضوء التوجيه الذي انتهينا إليه، ولو تم النظر الدقيق في سياقات الأحاديث الستة

السابقة، لتبين لنا أن الجمل المفسرة فيها بالأداتين (أيْ) و (أنْ) وقعت بدلاً من الإشارة الحسية فيها كلها؛ لأنها حلت محل الإشارة، وأزالت الإبهام عن الإشارة، ورفعت عنها احتمال تعدد المعاني، وكشفت حقيقة القصد بها، فتعين المعنى الحسي مفسراً بالألفاظ.

ففي الحديث الأول جملة (أي كما أنت) بدل من (فأشار إليه)، وهذه الإشارة إنما كانت في حقيقتها مفهومة – من سياقها وشكل حركتها – للمشاهد الذي حضر الإشارة ورآها، ولكنها أضحت غير مفهومة لاحقاً في أثناء رواية الحديث، ثم تدوينه بعد ذلك؛ ولذا لزمها البدل الذي يقوم بوظيفة التبيين، كما نص عليه النحويون[49]، أي أن الجملة المفسرة بينت معنى الإشارة الحسية في الحديث. قال أبو بكر الزبيدي: "فأما البدل فمعناه أن تثبِت الشيء وتعرفه وتزيده تبياناً"[50]. ولما كان تفسير الإشارة الحسية غير حاضر في ذهن من لم يشاهدها، ساغ جداً أن تعرب الجملة المفسرة بعدها بدلاً؛ لأن البدل يكمل المقصود بتخصيصه أو رفع الاحتمال عنه[51]، وهذه هي حقيقة تفسير الإشارة باللفظ لمن لم يشاهدها؛ كي لا تتعدد الاحتمالات في فهم ا لمعنى.

وبمثل هذا يفسر معنى (أومأ إليه) في الحديث الثاني، وتكون جملة (الزم مكانك) – على النحو الذي تم تأويله – بدلاً من الإشارة الحسية.

وكذلك تكون جملة (أن يمضي) في الحديث الثالث بدلاً من الإشارة الحسية في (أومأ إليه) قبلها.

وفي الحديث الرابع جملة (أن قوموا) بدل من (أشار إليهم). وتقع جملة (أن اجلسوا) بدلاً من (أشار) إليهم في الحديث الخامس.

وفي الحديث السادس (أن لا) في الموضعين، و(أن نعم) كلها بدل من (أشارت برأسها)، على تقدير الجمل التي سبق بيانها، وفقاً لسياقات ورودها في الحديث، كل بحسب معنى الإشارة فيه.

وقد وقع البدل في ذلك كله بدل جملة من جملة، ولا خلاف في هذا، فقد يبدل الاسم من الاسم، والفعل من الفعل، والجملة من الجملة[52].

وعلى هذا الوجه تكون الجملة البدلية هنا تابعة للإشارة الحسية، وهي المقصودة بالحكم؛ لأن البدل هو التابع المقصود لذاته بالحكم،[53] وهذا التوجيه مؤيد بالمقصد الدلالي من الإشارة الحسية المتعددة الأشكال، بحسب المراد، على النحو الذي تأكد من الأحاديث السابقة، فقد وضحت الجملة التفسيرية البدلية فيها المقاصد المختلفة من الإشارة، كالأمر بلزوم المكان، أو بالاستمرار والمضاء، كما في الأحاديث الأول والثاني والثالث، والأمر بالقيام كما في الحديث الرابع، والإجابة بـ (لا) و(نعم) في الحديث السادس.

وهذا كله مبني على أساس تفسير الإشارة الحسية من الرواة، وعلى أساس غياب المتلقي، وعدم شهوده الإشارة، فتم إفهامه المعنى بالجملة التفسيرية البدلية؛ لعدم مشاهدته الإشارة؛ أي أن الإشارة الحسية صارت غير موجودة لدى المتلقي لاحقاً، وإذا صح هذا كان موافقاً لما ذهب إليه النحويون من أن المشهور في البدل أنه في حكم تنحية المبدل منه؛ لأنه في نية الطرح،[54] "وفسره الأكثرون بأن من خاصية البدل أن لو طرح المبدل وأقيم البدل مكانه لاسْتد الكلام"[55].

والمبدل منه هنا هو الإشارة في حقيقتها الحسية، وهي في حكم المطروح لكل من لم يكن حاضر الإشارة والحركة في أثناء أدائها من قبل رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(أي) التفسيرية في الحديث

تقدم أن ورود (أيْ) مفسرة - في الحديث - قليل.

ويقع المفرد بعد (أي) التفسيرية بكثرة في الكلام العربي، ولكن لا صلة لها بالإشارة الحسية، ومنه قولهم: (عندي عسجد أي ذهب)، و (هذا غضنفر أي أسد)، ومنه في الحديث الثاني: (فلما رآه الناس؛ أي النبي - صلى الله عليه وسلم -...)، وما بعدها عطف بيان أو بدل، خلافاً للكوفيين أنه عطف نسق[56].

وتقع (أيْ) بين جملتين تامتين، وشاهده الحديثان الأول من قوله: (فأشار

إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أي كما أنت)، والثاني من قوله: (فأومأ إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – أي مكانك).

والجملة بعد (أيْ) في الحديث الأول تفسيرية وقعت بدلاً من الإشارة الحسية، وقد مر تفسير الإشارة في الحديث الأول بجملة فعلية تقديرها: (استمر كما أنت). وقد لا يلزمها تقدير فتكون الجملة اسمية على ما هي عليه (أي كما أنت). كما مر التفسير بجملة فعلية في الحديث الثاني على معنى (الزم مكانك).

ومما يظهر فيه أثر الإشارة الحسية واضحاً من شواهد (أيْ):

7 – حديث كعب بن مالك – رضي الله عنه – أنه تقاضى ابن أبي حدْرد ديناً كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجْف حجرته فنادى: يا كعب. قال: لبيك يا رسول الله. قال: ضعْ من دينك هذا. وأومأ إليه، أي الشطْر. قال: لقد فعلت يا رسول الله. قال: قمْ فاقضه[57].

الإشارة الحسية التي تدل على معنى الشطر، تكون غالباً برفع الكف اليسرى ممدودة الأصابع من غير تفريج بينها عمودية إلى أعلى بمحاذاة الصدر، وتوجيه الكف اليمنى إليها أفقية وكأنها تقطعها من النصف، وهي حركة مألوفة في دلالتها على معنى الشطر.

و(الشطر) في الحديث وقع منصوباً على أنه مفعول به لفعل محذوف، والتقدير (ضع الشطر)، وفهم الحذف من هيئة الإشارة البدنية منه، عليه الصلاة والسلام، وبذلك وقعت الإشارة البدنية موقع المفعول به في المعنى، وتكون (أيْ) مفسرة حقيقة الإشارة الحسية بجملة فعلية، وليست لاسم الإشارة (هذا) لفظاً مجرداً يلزمه فهم هيئة الإشارة لتمام إدراك المعنى.

وتقع الإشارة الحسية في الحديث موقع الجواب مفسرة بـ (أيْ) كما في:

8 – حديث أسماء – رضي الله عنها – قالت: أتيت عائشة وهي تصلي،

وقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام، فقالت: سبحان الله. قلت: آية. فأشارت برأسها - أي نعم - فقمت حتى تجلاني الغشْي، فجعلت أصبُّ على رأسي الماء. . .الحديث[58].

الإشارة الحسية من عائشة - رضي الله عنها -؛ لأنها كانت تصلي ولا كلام في الصلاة. وقد نص الإمام البخاري في عنوان الباب على أنها بالرأس، وأما مفسرة الإشارة فهي أسماء - رضي الله عنها - ونص تفسيرها - (أي نعم) - مفهوم من هيئة الإشارة التي قامت بها عائشة- رضي الله عنها - وتكون بتحريك الرأس إلى أسفل للدلالة على معنى الإيجاب. فالإشارة في الحديث لغة غير لفظية، حلت محل اللفظ (نعم)، وهي سبب لتكملة نص الجواب، والتقدير (نعم هذه آية)،[59] فتكون هذه الجملة جواباً تاماً للاستفهام، وهي بدل من الإشارة. وبهذا التفسير تكون (أيْ) داخلة على جملة اسمية، مع عدم انتفاء وقوعها بين جملتين تامتين، كما تقرر من قبل.

وقد تدخل (أيْ) حرف جواب على الجملة الفعلية؛ لتفسير الإشارة البدنية كما مر في الحديث الثاني.

(أن) التفسيرية في الحديث

تقدم أنه يكثر ورود تفسير الإشارة بـ (أنْ) في الحديث، وتم الاستشهاد عليه بأربعة أحاديث، هي الأحاديث الثالث والرابع والخامس والسادس، وقد تبين منها أنّ (أنْ) تأتي مفسرة للطلب وللكلام.

ويضاف هنا أن لها علامات وشروطاً، ذكر منها النحويون:

- أنها تقع بين جملتين تامتين.
- وأنها تقع بعد جملة فيها معنى القول دون لفظه.
- وأنها قد يليها مضارع منفي بـ (لا)، أو مضارع مثبت.
- وأنها تكون في الأمر خاصة[60].

وقوع (أن) التفسيرية بين جملتين تامتين

وقوعها بين جملتين تامتين ثابت لا خلاف عليه، كما تكشفه الأحاديث التي وقع الاستشهاد بها آنفاً، ويمكن حصر الجملتين في كل حديث منها في الجدول الآتي:

رقم الحديث	الجملة السابقة لـ (أنْ)	الجملة التالية لـ (أنْ)
3	فأومأ إليه	يمضي
4	فأشار إليهم	قوموا
5	فأشار إليهم	اجلسوا
6	فأشارت برأسها (مرتين)	(لا) بتقدير لا لم يقتلني فلان
6	فأشارت برأسها	(نعم) بتقدير نعم قتلني فلان

ومن شواهد وقوع (أنْ) بين جملتين تامتين:

9 - حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي - صلى الله عليه وسلم - ستْر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتن من الفرح برؤية النبي- صلى الله عليه وسلم- فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظنّ أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر، فتوفي من يومه[61].

الشاهد فيه قوله: (فأشار إلينا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أتموا صلاتكم) فقد جاءت (أن) بين جملتين تامتين هما: (فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم) و(أتموا صلاتكم) وقبلها جملة، تتضمن معنى القول، وهي جملة (أشار) الدالة على معنى القول، ووقع بعدها الأمر، ولم يتصل بـ (أنْ) شيء من صلة الفعل الذي تفسره، ولم يدخل عليها

الجار، بل وليها فعل أمر متصرف – من غير حرف عوض – هو (أتموا)، وتكون (أنْ) وفقاً لهذه الشروط مفسرة، ويجوز عند الرضي أن تكون كذلك، ويجوز عنده أن تكون مصدرية[62]. وعلى توجيه أنها مفسرة، تكون الجملة بعدها مبينة معنى الإشارة الحسية الصادرة منه – عليه الصلاة والسلام – إلى المصلين بإتمام صلاتهم، فهي بدل جملة من جملة على النحو الذي سبق بيانه في تقدير معنى الإشارة الحسية.

10 – حديث أنس – رضي الله عنه – قال: لم يخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – ثلاثاً، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله – صلى الله عليه وسلم – بالحجاب فرفعه، فلما وضح وجه النبي – صلى الله عليه وسلم – ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي – صلى الله عليه وسلم – حين وضح. فأومأ النبي – صلى الله عليه وسلم – بيده إلى أبي بكر أن يتقدم، وأرخى النبي – صلى الله عليه وسلم – الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات[63].

الشاهد فيه قوله: (فأومأ النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أبي بكر أن يتقدم). ويقال فيه ما قيل في الحديث التاسع. ومنه:

11 – حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: لما ثقل النبي – صلى الله عليه وسلم– واشتد به وجعه استأذن أزواجه في أن يمْرض في بيتي، فأذِنّ له. فخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض: بين عباس ورجل آخر. قال عبيد الله:[64] فأخبرت عبد الله بن عباس فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: هو علي. وكانت عائشة – رضي الله عنها – تحدث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال بعدما دخل بيته، واشتد وجعه: هريقوا عليّ من سبع قرب لم تُحْللْ أوكِيتُهنّ،[65] لعلي أعهد إلى الناس. وأجلس في مِخْضَب[66]لحفصة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس[67].

الشاهد فيه قولها: (طفق يشير إلينا أن قد فعلتن). ويوجه مثل توجيه

الحديثين السابقين، ولكن فيه دخول (أن) على الماضي المتصرف المسبوق بقد، ودخول (أن) المفسرة على الماضي المتصرف كثير كقوله تعالى: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[68].

وقوع (أنْ) بعد جملة فيها معنى القول دون لفظه

وهذا مؤكد مما مر من الأحاديث آنفاً، وقد يقال مثله في (أي) التفسيرية، ولكن ليس شرطاً فيها. ويستدل من الأحاديث أن أكثر الألفاظ – الدالة على معنى القول– ارتباطاً بأداتي التفسير (أنْ) و(أيْ) لفظا (أشار) و(أومأ). وقد وقع اللفظ الأول في الأحاديث الأحد عشر السابقة تسع مرات، كلها بصيغة المضارع (يشير). وأما (أومأ) فقد ورد فيها أربع مرات، كلها بصيغة الماضي، هذا، وسيرد اللفظان في أحاديث يتم الاستشهاد بها لاحقاً.

واللفظان كلاهما بمعنى واحد؛ فقد جاء في لسان العرب:

"أشار إليه وشور: أومأ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب. وشور إليه بيده، أي أشار، عن ابن السكيت. وفي الحديث:

كان يشير في الصلاة، أي يومئ باليد والرأس، أي يأمر وينهى بالإشارة"[69].

قال الميلاني: "ولا تجيء أن مفسرة إلا بعد فعل بمعنى القول، نحو قوله: ناديته أن قمْ، تريد بها تفسير النداء"[70]. وكذلك يكون الأمر في تفسير الإشارة البدنية، لأنه يكثر فيها معاني القول، فينادى بالإشارة ويؤمر بها وينهى عن الأفعال بها، وكل ذلك يقع في أصله بالقول. ولذلك كثر وقوع (أن) بعد الإشارات الحسية تفسيراً لها.

إعراب الفعل بعد (أن) التفسيرية

ذكروا أن ما بعد (أنْ) يكون جملة فعلية مصدرة بمضارع مسبوق بـ (لا)، نحو: (أمرتك ألا تعبث)، وأنه يجوز في مثل هذا الفعل الرفع على تقدير (لا)

نافية، والجزم على تقديرها ناهية، و(أنْ) مفسرة، والنصب على تقدير(لا) نافية و(أنْ) مصدرية[71].

وقد تكون الجملة الفعلية مصدرة بمضارع مثبت، فيمتنع جزمه، ويجوز فيه الرفع والنصب،[72] وهي كذلك في الحديث الثالث من قوله: (فأومأ إليه أن يمضي)، وفي الحديث العاشر (فأومأ النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي بكر أن يتقدم). ولم أقع فيما جمعته من الأحاديث على شاهد على وقوع المضارع المسبوق بـ (لا) بعد (أنْ).

ومن وقوع المضارع المثبت بعد (أنْ):

12 - حديث جابر - رضي الله عنه - في البردة التي ذهب يخالف بين طرفيها، فلم تبلغ له، قال: وجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرمقني، وأنا لا أشعر، ثم فطنت به، فأشار إليّ[73] أنْ أتزر بها... الحديث[74]

وقد وقع المضارع في كل الأحاديث السابقة بمعنى الأمر؛ لأن المقصود بالإشارة الحسية هو: (أتِمّوا) و(تَقدّمْ) و(اتّزرْ بها).

وقد جاء الأمر صريحاً بعد (أن) المفسرة في أحاديث كثيرة، يمكن أن يحتج بها على أنه لا يشترط أن تكون الجملة الفعلية المفسرة بـ (أنْ) مصدرة بفعل مضارع، بل تأتي مصدرة بالأمر الصريح، كما في قوله في الحديث الرابع: (فأشار إليهم أن قوموا)، وقول عائشة - رضي الله عنها - في الحديث الخامس: (فأشار إليهم أن اجلسوا)، وفي الحديث التاسع: (فأشار إلينا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أتموا صلاتكم). فالفعل بعد (أن) المفسرة وقع في ذلك كله أمراً، وهذه حقيقة لا يشير إليها النحاة إلا نادراً، وقد ألمح إليها سيبويه بقوله: " وأما قوله: [أي الخليل] كتبت إليه أن افْعل، وأمرته أن قمْ، فيكون على وجهين: على أن تكون (أن) التي تنصب الأفعال، ووصلْتها بحرف الأمر والنهي، كما تصل الذي بتفْعل إذا خاطبت حين تقول: أنت الذي تفعل، فوصلت أنْ بقمْ لأنه في موضع أمر، كما وصلت الذي بتقول وأشباهها إذا خاطبت... والوجه الآخر: أن تكون بمنزلة (أيْ) في الأول. "[75] وقد نص

الهروي على دلالة الفعل بعد (أنْ) التفسيرية على الأمر قائلاً: "وتكون هذه في الأمر خاصة"[76].

ومن شواهد مجيء الأمر صريحاً بعد (أن) المفسرة:

13 - حديث داود بن صالح بن دينار التمار عن أمه أن مولاتها أرسلتها بهريسة إلى عائشة - رضي الله عنها - فوجدتها تصلي، فأشارت إليّ أن ضعيها... الحديث[77].

ومنه:

14 - حديث أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما، أشار إليهم أن دعوهما، فإذا قضيت الصلاة وضعهما في حجره، وقال من أحبني فليحب هذين[78].

حذف الفعل بعد (أنْ) و(أيْ)

يرد حذف فعل التفسير بعد (أنْ) و(أيْ) كثيراً في الحديث وبخاصة في جواب الاستفهام، وشواهده عديدة، ومنها أحاديث وقع الاستشهاد بها سابقاً، كالحديث السادس: حديث الجارية التي قتلها يهودي على أوضاح لها، فسئلت: "أقتلك فلان؟ فأشارت برأسها (أن لا)" في المرتين، ثم أشارت برأسها (أن نعم) في المرة الثالثة. فحذف الفعل في إجاباتها الثلاث، على النحو الذي تقدم بيانه سابقاً. وهو حذف جائز لوجود دليل مقالي على المحذوف. وقد يحذف الفعل بعد أداة التفسير في غير الاستفهام، كما جاء في الحديث الأول "فأشار إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي كما أنت". بمعنى (استمر) كما أنت، أو (اثبت) كما أنت. وهو حذف جائز لدلالة السياق على معناه.

ومثله الحديث الثاني "فأومأ إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- أي مكانك" بتقدير (اثبت) مكانك. ومثل الحديث الثاني:

15 - حديث أبي بكر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل في صلاة الفجر، فأومأ بيده أن مكانكم، ثم جاء ورأسه يقطر،

فصلى بهم[79]. والمعنى اثبتوا أو الزموا مكانكم فحذف الفعل لدلالة السياق عليه.

وقد يحذف الفعل مع أداة التفسير لدلالة السياق عليهما كما في:

16 - حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الصلاة، وكبر، ثم أشار إليهم، فمكثوا، ثم انطلق، فاغتسل، وكان رأسه يقطر ماء فصلى بهم، فلما انصرف قال: إني خرجت إليكم جنبا، وإني نسيت حتى قمت في الصلاة[80].

والشاهد فيه قوله: (ثم أشار إليهم فمكثوا)، أي أشار إليهم أن امكثوا فمكثوا، فحذفت أداة التفسير وحذف معها الفعل لدلالة المعطوف عليه، وهو قوله(فمكثوا).

ومثل هذا الحذف جاء في:

17 - حديث جابر- رضي الله عنه - قال: ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرساً بالمدينة فصرعه، على جذم نخلة،[81] فانفكت[82] قدمه، فأتيناه نعوده، فوجدناه في مشربة[83] لعائشة، يسبح جالساً، قال: فقمنا خلفه، فسكت عنا، ثم أتيناه مرة أخرى نعوده، فصلى المكتوبة جالساً، فقمنا خلفه، فأشار إلينا فقعدنا، قال: فلما قضى الصلاة قال: إذا صلى الإمام جالساً فصلوا جلوساً، وإذا صلى الإمام قائماً فصلوا قياماً، ولا تفعلوا كما تفعل أهل فارس بعظمائها[84].

الشاهد فيه قوله: (فأشار إلينا فقعدنا)، فقد دل قوله: (فقعدنا) على حذف الفعل مع أداة التفسير، والتقدير: أشار إلينا أن اقعدوا فقعدنا.

والحذف في هذا الحديث والحديثين قبله مبني في أصله على الإشارة البدنية منه، عليه الصلاة والسلام. وحركة الأمر بالقعود معروفة، فهي غالباً ما تقوم على مد الذراع - مستقيمة أو شبه مستقيمة - إلى الأمام، أو إلى الجنب مع تحريك الكف مرتين إلى أعلى وأسفل. وتكون حركة المكوث، أو الثبات في

المكان في الحديثين الخامس عشر والسادس عشر، على نحو قريب من هذه الحركة، ولكن بتثبيت الكف مستقيمة إلى أعلى بدون حركة.

ولولا الحركة الحسية لما لزم تفسير الكلام المنطوق في رواية الحديث؛ لأن الحركة لغة غير منطوقة، والرواية لغة منطوقة، فلزم نقل الحركة إلى لغة لفظية؛ لإيصال المعنى إلى متلقي الحديث لفظاً في غياب مشاهدته الحركة.

تفسير الإشارة بـ (أنّ) المشددة

لم يعرف وقوع (أنّ) المشددة حرف تفسير، ولكن بين يدي حديثان ظاهرهما يشير إلى وقوع (أنّ) ومعموليها مفسرة للإشارة الحسية؛ الحديث الأول منهما:

18 - حديث عائشة - رضي الله عنها - في حكم سعد بن معاذ - رضي الله عنه- في يهود بني قريظة في الحصار، وهو حديث طويل جاء فيه: فلما اشتد حصرهم، واشتد البلاء قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح، قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ. . . الحديث[85].

موضع الاستشهاد فيه (فأشار إليهم أنه الذبح)، ويتضح من مورد الحديث أن أبا لبابة بن عبد المنذر لم ينطق بلفظ الذبح، وإنما تمثل معناه بالإشارة، وهي إشارة مألوفة في هيئتها، مفهومة في دلالتها، وتؤدى بإمرار الكف أمام العنق مرة واحدة، وأصابع اليد ممدودة متصلة من غير انفراج بينها. هذه الإشارة أحيلت في رواية الحديث إلى جملة مكونة من (أنّ) ومعموليها، هي جملة (أنه الذبح)، وبهذا تكون هذه الجملة مفسرة للإشارة البدنية الدالة على معنى الذبح، وبذلك تكون بدلاً من (أشار).

وهذا التحليل لا يتعارض مع ما تقتضيه الصنعة النحوية من تأويل (أنّ) ومعموليها بمصدر يقع منصوباً على نزع الخافض، والتقدير (أشار إليهم بالذبح)؛ لأن المعنى يقتضي بيان مفهوم الإشارة الحسية للفظ (أشار)، سواء عددنا التركيب مصدراً - وإن كان المصدر منصوباً بسقوط حرف الجر -

أم جملة تفسيرية، والنتيجة أن المنصوب على نزع الخافض مفسر للإشارة البدنية للحديث.

والحديث الثاني في هذا الباب هو:

19 - حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: هات القطْ لي، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف،[86] فوضعهن في يده، فقال: بأمثال هؤلاء مرتين، وقال بيده، فأشار يحيى- أحد رواته- أنه رفعها، وقال: إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين[87].

الشاهد فيه قوله: (فقال: بأمثال هؤلاء مرتين، وقال بيده، فأشار يحيى - أحد رواته - أنه رفعها). اجتمع هنا - مع الإشارة - لغة لفظية هي قوله - عليه الصلاة والسلام -: (بأمثال هؤلاء مرتين)، واسم الإشارة هنا يشار به إلى محسوس هو (الحصيات)، وهذا هو الأصل في اسم الإشارة[88]. وأما الإشارة التي أداها الرسول - عليه السلام - فقد عبر عنها باسم الإشارة (هؤلاء)، وهي إشارة إلى الحصيات، لم يعرف كيفية أدائها، وإن ذكر العضو المشار به وهو اليد، وذلك مما حمل أحد رواته على بيان هذه الكيفية بقوله: (أنه رفعها). ويلاحظ في الحديث مجيء (قال) بمعنى أشار، وهذا كثير في اللغة،[89] وله شواهد في الحديث، تكون موضع دراسة تالية إن شاء الله.

وما قيل في تحليل جملة (أنّ) ومعموليها في الحديث السابق يقال في جملة (أنه رفعها) في هذا الحديث، والله أعلم بحقيقة ذلك كله وأحكم.

تفسير الإشارة الحسية بالجملة الحالية

يجب تفسير الإشارة البدنية عندما تكون موجهة إلى معنى من معاني الحدث، كما ثبت هذا من الأحاديث التسعة عشر المستشهد بها آنفاً، فقد وقعت الإشارة فيها إلى المعاني، مفسرة بجملة فعلية أو اسمية. ومن المعاني التي أشير إليها في تلك الأحاديث: معنى الاستمرار والمضاء (الأحاديث الأول والثاني

والثالث)، ومعنى القيام (الحديث الرابع)، والجلوس (الحديث الخامس)، ومعنى النفي والإثبات (الحديث السادس)، ومعنى الوضع (الحديث السابع). وهكذا تتعدد المعاني المشار إليها في بقية الأحاديث. وكلها جاءت مجردة من اسم الإشارة، وكلها لزمها التفسير، لبيان معنى الإشارة الحسية.

وقد فسرت الإشارة في المواضع السابقة بإحدى أداتي التفسير (أنْ) أو (أيْ).

وعندما تقع الإشارة إلى المحسوسات، كثيراً ما يصحب الإشارة البدنية ذكر أحد أسماء الإشارة، وذلك هو حقيقة استعمال أسماء الإشارة؛ لأن الأصل فيها أن يشار بها إلى محسوسات حاضرة. وعندئذ فالغالب على الإشارة أنها لا تفسر بأداة تفسير، بل تقوم الجملة الحالية مقام التفسير، وهذا سائغ؛ لأن الحال - أصلاً - يدل على هيئة،[90] ولذلك فالجملة الحالية تبين هيئة المشير، وهو صاحب الحال، وشاهد ذلك:

20 - حديث أبي الدرداء أنه قال لابن أم عبد: قم فاخطب، فقام ابن أم عبد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يأيها الناس، إن الله - عز وجل - ربنا، وإن الإسلام ديننا، وإن القرآن إمامنا، وإن البيت قبلتنا، وإن هذا نبينا، وأومأ بيده إلى النبي- صلى الله عليه وسلم -... الحديث[91].

فجملة (وأومأ بيده إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -) وقعت حالية، لبيان هيئة صاحب الحال في إشارته الحسية الصادرة منه، والتقدير: (مومئاً بيده)، على أن تكون الواو واو الحال.

21 - حديث عائشة - رضي الله عنها - أن أسماء بنت أبي بكر - أختها - دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - في لباس رقيق، يشف عن جسمها، فأعرض النبي عنها، وقال: يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه[92].

فالإشارة وقعت إلى محسوسات، لا يعرفها غير من شهدها، ورآها،

ولذلك جاءت الجملة الحالية لتبين حقيقة الإشارة، وذلك بمثابة تفسير لها، والتقدير: (مشيراً بإصبعه)، والواو في الشاهد واو الحال.

ومثله:

22 - حديث جابر بن سمرة قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسلم أحدنا، أشار بيده من عن يمينه ومن عن يساره، فلما صلى قال: ما بال أحدكم يومئ بيده، كأنها أذناب خيل شمس؟[93] إنما يكفي أحدكم، أو ألا يكفي أحدكم أن يقول: هكذا، وأشار بإصبعه يسلم على أخيه من عن يمينه، ومن عن شماله[94].

وهذا مثل الحديثين السابقين، وتقدير جملة الحال فيه: (مشيراً بإصبعه)، والواو فيها واو الحال.

وبتأمل الأحاديث الثلاثة الأخيرة، يتبين أن قيام الجملة الحالية مقام تفسير هيئة صاحب الحال، ليس في قوة الجملة المفسرة بـ (أيْ) أو بـ (أنْ)؛ لأن الجملة الحالية إنما تقتصر على تبيين هيئة صاحب الحال بأنه يقوم بالفعل مؤشراً، ولا تفسر طبيعة الإشارة نفسها. وأما الجملة التفسيرية المقترنة بـ (أيْ) أو بـ (أنْ)، فهي تفسر هيئة الإشارة، ومعناها المقصود، وتظهر الحدث المتضمن في الإشارة الحسية إظهاراً لفظياً لا لبس فيه.

استغناء الإشارة عن التفسير

قد تستغني الإشارة الواقعة على محسوسات عن التفسير تماماً، ويكثر ذلك حين يراد بالإشارة التعيين تعيين الذوات؛ لأن المعنى عندئذ يكون واضحاً، كما أن القصد من الإشارة يكون واضحاً لا لبس فيه. ومن شواهده:

23 - حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم، فسجد، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، إلا رجل رأيته أخذ كفاً من حصى، فرفعه، وقال: هذا يكفيني. قال عبدالله: فلقد رأيته بعد ذلك قتل كافراً بالله[95].

فالإشارة هنا واضحة موجهة إلى تعيين كف الحصى الذي رفعه الرجل، فلا يلزمها تفسير. ومثله:

24 - حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى نخامة في قبلة المسجد فغضب حتى احمر وجهه، فجاءته امرأة من الأنصار، فحكتها، وجعلت مكانها خلوقاً[96]، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحسن هذا[97].

الإشارة منه - عليه الصلاة والسلام - جاءت لتعيين العمل الذي قامت به الأنصارية، أي (ما أحسن هذا العمل). ويجوز أن تنصرف إلى المكان، أي (ما أحسن هذا المكان) يعني قبلة المسجد بعد تنظيفها، وبهذا المعنى، يقع الاستشهاد به على تعيين المحسوسات، إن صح هذا التأويل.

25 - حديث يونس بن ميسرة قال: خرجت مع أبي سعيد الزرقي صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى شراء الضحايا. قال يونس: فأشار أبو سعيد إلى كبش أدغم،[98] ليس بالمرتفع، ولا المتضع في جسمه، فقال لي: اشتر لي هذا، كأنه شبهه بكبش رسول الله، صلى الله عليه وسلم[99].

أشار أبو سعيد - رضي الله عنه - إلى الكبش لتعيينه دون غيره. والإشارة جاءت واضحة فلا يلزمها تفسير.

ومثل هذا المورد الذي تقع فيه أسماء الإشارة لتعيين الذوات كثير في الحديث، وفيه دلالة على استغناء الإشارة عن التفسير، إذا أفادت التعيين.

والخلاصة أنه ما يزال في الحديث الشريف متسع لدراسة القواعد النحوية واستخلاص شواهدها منه. وأن هذه القواعد لم تخدم في ضوء مبحث النحو الإشاري في اللسانيات الحديثة، على الرغم من كثرة ورود الأحاديث التي رويت مصحوبة بوصف الإشارات البدنية التي صدرت من الرسول- صلى الله عليه وسلم- بهيئات كثيرة في مختلف الحالات، ولذلك تولت هذه الدراسة شرف

القيام بذلك معتمدة على ظاهرة التقدير والتأويل في النحو العربي، لإحالة الإشارات البدنية إلى لغة منطوقة تفسر صفة الإشارة الحسية.

وتبين مما سبق من تتبع الإشارات في الحديث أنها كثيراً ما تفسر لفظياً بإحدى أداتي التفسير (أي) أو (أن)، وأنّ الثانية ترد بكثرة في تفسير الإشارات الحسية. واتضح أن الإشارات في الحديث غالباً ما تقع مفسرة، وقد لا تكون كذلك أحياناً. ويكون تفسيرها إما بأداة تليها جملة فعلية أو اسمية، وإما بغير أداة فتقوم الجملة الحالية مقام التفسير.

وإذا وقعت غير مفسرة، فعندئذ إما أن تكون دلالتها مفهومة من السياق، وإما أن تكون دالة على التعيين، فتستغني عن التفسير. وقد تم تأييد ذلك كله بشواهد مختلفة من نصوص الحديث الشريف، فاجتمعت أحاديث كثيرة تكشف عن أهمية لغة الإشارة، وبخاصة حين يتعذر التواصل باللغة المنطوقة.

وخرجت الدراسة بتوجيه إعراب الجملة المفسرة للإشارة الحسية بدلاً، على أنها بدل جملة من جملة، أو حالاً في بعض المواضع. وبدا أنه قد تقع الإشارة الحسية موقع العامل النحوي حيثما يصح فيها تأويل المعنى لفظاً.

ووقع الاستشهاد بأحاديث كشفت أن الجملة الفعلية المفسرة بـ (أنْ) لا يشترط فيها أن تكون مصدرة بفعل مضارع، بل قد يتصدرها الأمر، وقد يتصدرها الماضي.

هذا، وقد استندت الدراسة في مجموعها إلى خمسة وعشرين شاهداً من الحديث الشريف، لم يسبق الاستشهاد بها في الدرس النحوي - بحسب علمنا - وتلك إضافة نافعة، إن شاء الله.

ويلخص الجدول الآتي مواضع الاستشهاد بتلك الأحاديث، مع بيان مفسر الإشارة الحسية فيها، ولفظ الإشارة، وأداتها، ونوع الجملة المفسرة، وإعرابها، وأثر الإشارة الحسية في التركيب:

رقم الحديث	الجملة المفسرة	المفسر	لفظ الإشارة	أداة التفسير	نوع الجملة المفسرة	أثر الإشارة في التركيب
1	أي كما أنت	عائشة	أشار	أيْ	اسمية مثبتة، أو فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من مبتدأ وخبر، أو من فعل وفاعل.
2	أي مكانك	ابن عباس	أومأ	أيْ	اسمية مثبتة، أو فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من مبتدأ وخبر، أو من فعل وفاعل.
3	أن يمضي	المغيرة بن شعبة	أومأ	أنْ	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
4	أن قوموا	زياد بن علاقة	أشار	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
5	أن اجلسوا	عائشة	أشار	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
6 أ	أن لا (بتقدير: لم يقتلني فلان) مرتين	أنس	أشارت	أن	فعلية منفية	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
6 ب	أن نعم (بتقدير: قتلني فلان)	أنس	أشارت	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
7	أي الشطر	كعب بن مالك	أومأ	أي	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
8	أي نعم	أسماء بنت أبي بكر	أشارت	أي	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
9	أن أتموا صلاتكم	أنس	أشار	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
10	أن يتقدم	أنس	أومأ	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.

11	أن قد فعلتن	عائشة	يشير	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
12	أن أتـزر(أي بالبردة)	جابر	أشار	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
13	أن ضعيها	مـولاة أم داود التمار	أشارت	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
14	أن دعوهما (أي الحسن والحسين)		أشار	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
15	أن مكانكم	أبو بكر	أومأ	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
16	مـحـذوفـة وتـقـديـرهـا: أن يمكثوا	أبوهريرة	أشار	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
17	مـحـذوفـة وتـقـديـرهـا أن اقعدوا	جابر	أشار	أن	فعلية مثبتة	أفهمت جملة بدلية من فعل وفاعل مبينة المعنى.
18	أنه الذبح	أبو لبابة بن المنذر	أشار	–	اسمية مثبتة	أفهمت جملة بدلية مؤكدة المعنى.
19	أنه رفعها	يحيى	أشار	–	اسمية مثبتة	أفهمت جملة بدلية مؤكدة المعنى.
20	أومأ بيده	أبو الدرداء	أومأ	–	فعلية مثبتة	أفهمت جملة حالية تفسر معنى اسم الإشارة.
21	أشار إلى وجهه وكفيه	عائشة	أشار	–	فعلية مثبتة	أفهمت جملة حالية تفسر معنى اسم الإشارة المكرر.
22	أشار بإصبعه	جابر بن سمرة	أشار	–	فعلية مثبتة	أفهمت جملة حالية فسرت معنى اسم الإشارة.

23	–	–	هذا	–	–	وقع اسم الإشارة موقع الفاعلية.
24	–	–	هذا	–	–	وقع اسم الإشارة موقع المفعولية.
25	–	–	هذا	–	–	وقع اسم الإشارة موقع المفعولية.

الهوامش والمراجع

(1) من هذه الجهود:

- Armstrong, D., Stoke, W., & Wilcox, S., Gesture and the Nature of Language, Cambridge University Press, Cambridge, 1995. Bonavillain, N., Language, Culture and Communication, Printice Hall Upper Suddle River, New Jersey, 2000. Hankamer J., (editor) Outstanding Dissertations in Linguistics, Garland Publishing, Inc., New York & London, 1988. Klima, E & Bellogi, U., The Sings of Language, Harvard University Press, London, 1979. Morris, Charles, Foundations of The Theory of Sings, The University of Chicago Press, Chicago & London, 1996. Padden, Carol, Interaction of Morphology and Syntax in American Sign Language, Garland Publishing, Inc., New York & London,1988. Wilbur, R., Recent Perspectives on American Sign Language, Lawrrance Erlbaum Associates, Publishers, New Jersey, 1980.

ومنها ما كتبه محمد كشاش في مواضع مختلفة من كتابه: لغة العيون.

(2) بعنوان: دراسة النحو الإشاري من خلال اللغة غير اللفظية المصاحبة للكلام. بحث جاهز للنشر، ودراسة أخرى بعنوان: دلالة الإشارات الحسية في الحديث الشريف وأثرها في تأويل التركيب، بحث مرسل للنشر.

(3) كشاش، محمد: "الإشارة غير الشفوية في الأحاديث النبوية رؤية في إبلاغ الرسول – صلى الله عليه وسلم – من دون القول"، **الأحمدية**، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ع 13، مارس 2003م. ولقد زودني زميلي الدكتور عمر العاني مشكوراً بصورة منها وأنا بصدد إرسال دراستي للنشر، فوجب التنويه به.

(4) انظر:

- Ibn Farhun's Methods of Grammatical Analysis in His Work alÙ'Uddah Fi 'Irab alÙ'Umdah, with a Critical Edition of Part I of the Book, a PhÁD thesis, University of Leeds, 1987

ومن المؤلفات التي أفردت هذا الموضوع بالدراسة: خديجة الحديثي: **موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف**، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، 1981م. خليفة، سهير محمد: **قضايا الاستشهاد بالحديث في النحو وشواهده في المغني**، القاهرة: مطبعة السعادة، 1982م،

ص 315، (تبنت فيه المؤلفة الاستشهاد بالحديث مطلقاً). الهلالي، هادي عطية: **ريادة الاستشهاد بالحديث والأثر عند الخليل بن أحمد الفراهيدي**، بغداد: جامعة بغداد، 1991م. فجال، محمود: **السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي**، الرياض: أضواء السلف، 1997م.

(5) عرار، مهدي أسعد: **ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصل**، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2003م، ص 224.

(6) "الإشارة غير الشفوية في الأحاديث النبوية رؤية في إبلاغ الرسول – صلى الله عليه وسلم – من دون القول".

(7) انظر تعبيرات الوجه في الحديث الشريف، علي المدني، بحث جاهز للنشر، مرسل للتحكيم.

(8) انظر: المشاط، حسن محمد: **التقريرات السنية في شرح المنظومة البيقونية**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1996م، ص29. وانظر: الأعظمي، محمد ضياء الرحمن: **معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد**، الرياض: مكتبة أضواء السلف، 1999م، ص408–409.

(9) انظر: السخاوي، شمس الدين: **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ، ص61.

(10) الأيوبي، محمد عبدالباقي: **المناهل السلسة في الأحاديث المسلسة**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

(11) الهندي، علي بن حسام الدين: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989، الحديث رقم 1571.

(12) ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج5، ص 250، وفيه: "وقبض أنس بيده على لحيته، وقال: آمنت بالقدر".

(13) المناهل السلسة في الأحاديث المسلسلة، ص66 وما بعدها.

(14) انظر مثاله في المناهل السلسة، ص70 وما بعدها.

(15) انظر مثاله في المناهل السلسة، ص75.

(16) انظر مثاله في المناهل السلسة، ص63.

(17) انظر مثاله في المناهل السلسة، ص381.

(18) انظر: ابن تيمية: **علم الحديث**، تحقيق: موسى محمد علي. بيروت: عالم الكتب، 1985م، ص81. العيد، تقي الدين بن دقيق: **الاقتراح في بيان الاصطلاح**، تحقيق: قحطان عبد الرحمن الدوري. بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1982م، ص162 وما بعدها. السيوطي، جلال الدين: **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، بإشراف رضوان جامح رضوان، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة: 1997م، ص178 وما

بعدها. وانظر: الحافظ العراقي، عبد الرحيم بن الحسين: **التقييد والإيضاح**. تحقيق: أسامة عبدالله خياط، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2004م، ج2 ص 290 وما بعدها.

(19) الاقتراح في بيان الاصطلاح، ص163.

(20) للتفصيل في دلالات الوجه انظر: تعبيرات الوجه في الحديث الشريف.

(21) أخرجه ابن ماجة في سننه، (الصلاة والأذان). وانظر: الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن ابن ماجة**، (برقم 1018)، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1988م.

(22) الصلاة والأذان.

(23) سيبويه، عمرو بن عثمان: **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ج3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م، ص162.

(24) انظر: المرادي، الحسن بن قاسم: **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، حلب: المكتبة العربية، 1973م، ص233. ابن حاجب: **الإيضاح في شرح المفصل**، تحقيق: موسى العليلي. بغداد: **وزارة الأوقاف والشؤون الدينية**، 1982م، ص230. النحوي، أبو حيان: **النكت الحسان في شرح غاية الإحسان**، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م، ص291.

(25) الميلاني، محمد بن عبدالرحيم: **شرح المغني في النحو**. تحقيق: عبد القادر الهيتي، بنغازي: جامعة قار يونس، 1998م، ص255.

(26) الألباني، ناصر الدين: **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**. (الحديث رقم 138).

(27) المالقي، أحمد بن عبدالنور: **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، 1985م، ص196–197.

(28) أخرجه الترمذي، في سننه، (الصلاة والأذان والمساجد)، وانظر: الألباني، محمد ناصرالدين: **صحيح سنن الترمذي باختصار السند**، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1988م. (الحديث رقم 300).

(29) رواه البخاري في كتاب الأذان، (الحديث رقم 688). وقد احتج به النحاة على مجيء الحال من نكرة بدون مسوغ. انظر: ابن مالك: **شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ**، تحقيق: عدنان الدوري. بغداد: وزارة الأوقاف، 1977م، ص420. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج1، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، 2002م، ص581.

(30) الأوضاح: حلي من فضة. ونقل ابن منظور أنها حلْي من الدراهم الصحاح. انظر: بن منظور، محمد بن مكرم بن علي: **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين. القاهرة: دار المعارف بمصر. د.ت.

(31) رواه ابن ماجة في سننه، (كفارات حدود، عتق، فرائض، ديات). وانظر: صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، (الحديث رقم 2159).

(32) النَصْب والنُصُب: العلم المنصوب. انظر: لسان العرب (نصب).

(33) السهيلي، أبي القاسم: **نتائج الفكر**، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ط2. الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع، 1984م، ص128.

(34) نتائج الفكر، ص129.

(35) نتائج الفكر، ص130.

(36) انظر: ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ج2، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.، ص399.

(37) مغني اللبيب، ج2، ص 402.

(38) السيوطي، جلال الدين: **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، ج4، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية، 1979م، ص56.

(39) نتائج الفكر، ص 230.

(40) بن مالك، بدر الدين: **المصباح في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها، 1989م، ص58.

(41) همع الهوامع شرح جمع الجوامع، ج5، ص190.

(42) المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص61.

(43) الطيبي، شرف الدين حسين بن محمد: **التبيان في علم المعاني والبديع والبيان**، تحقيق: هادي عطية الهلالي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط1، 1987م، ص138–139.

(44) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص446. وتبعه السيوطي في هذا التعريف. انظر: همع الهوامع، ج4، ص56.

(45) انظر: الجرجاني، محمد بن علي: **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، تحقيق: عبد القادر حسين، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1982م، ص123–125.

(46) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ص136.

(47) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ص137.

(48) يوسف، حسني عبدالجليل: **إعراب النص دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب**. القاهرة: دار الآفاق العربية، 1997م، ص128.

(49) انظر: زعير، محمد يسري: **التوابع في النحو العربي**، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1978م، ص112.

(50) الزبيدي، أبي بكر: **كتاب الواضح في علم العربية**، تحقيق: أمين علي السيد، القاهرة: دار المعارف بمصر، 1975م، ص72.

(51) انظر: الخضري، محمد الدمياطي: **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل**، ج2، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1940م، ص68.

(52) انظر: حاشية الحضري، ج2، ص71 وانظر: الأهدل، عبدالله: **غيث الديمة بشرح الدرة اليتيمة**، ج1، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، 1999م، ص90.

(53) انظر: الكيشي، محمد بن أحمد القرشي: **الإرشاد إلى علم الإعراب**. تحقيق: عبدالله البركاتي ومحسن العميري، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1989م، ص380. وانظر: المكودي، عبدالرحمن بن علي: **شرح المكودي على ألفية ابن مالك**. ج2، تحقيق: فاطمة الراجحي، الكويت: جامعة الكويت، 1993م، ص582.

(54) انظر: حاشية الخضري، ج2، ص70.

(55) الإرشاد إلى علم الإعراب، ص380.

(56) انظر: مغني اللبيب، ج1، ص80.

(57) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة - باب التقاضي والملازمة في المسجد. والسجف: بكسر المهملة وإسكان الجيم، وحكى فتح أوله وهو الستر، وقيل أحد طرفي الستر المفرج. انظر: فتح الباري في شرح الحديث. وانظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987م، مادة (سجف).

(58) رواه البخاري في كتاب العلم- باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس.

(59) القائل بهذا التقدير هو ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (كتاب العلم - باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس).

(60) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص220-221، والهروي، علي بن محمد: **الأزهية في علم الحروف**، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق: مجمع اللغة العربية، 1981م، ص69-71، وابن يعيش: **شرح المفصل**، ج8، بيروت: عالم الكتب، د.ت، ص142. مغني اللبيب. ج1 ص29-31، وكمال، عبد الحي حسن: **حروف المعاني**، القاهرة: مكتبة المعارف، 1391هـ، ص89، وقمير، يوحنا: **معجم الحروف والظروف**، بيروت: مطابع كريم الحديثة، د. ت، ص42-43. والتونجي، محمد: **معجم الأدوات**، دمشق: دار الفكر، 1979م، ص30.

(61) أخرجه: البخاري في كتاب الأذان، (الحديث رقم 680).

(62) انظر: الأستراباذي، رضي الدين: **شرح الرضي على الكافية**، ج4، تحقيق: يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قاريونس، د.ت.، ص36.

(63) أخرجه: البخاري في كتاب الأذان، (الحديث رقم 681).

(64) هو عبيدالله بن عبد الله بن عتبة، راوي الحديث عن عائشة، رضي الله عنها. انظر: العسقلاني، ابن حجر: **فتح الباري**، في شرح الحديث 198.

(65) الأوكية: جمع وكاء، وهو ما يشد به رأس القربة. انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد: **مادة (وكى) في الصحاح**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1997م، والزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس**، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر، 1994م.

(66) المِخْضَب: الإجّانة تغسل فيها الثياب. انظر: مصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد حسن وعبدالقادر، حامد والنجار، محمد علي: **المعجم الوسيط**، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط2، 1972م، مادة (خضب).

(67) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء برقم 198.

(68) سورة النمل: 8.

(69) مادة (شور).

(70) شرح المغني في النحو، ص255.

(71) انظر: مغني اللبيب، ج1، ص31، والجنى الداني ص221.

(72) مغني اللبيب، والجنى الداني.

(73) لأنه – صلى الله عليه وسلم – كان في صلاة.

(74) رواه أبو داود في سننه، (الصلاة والأذان والمساجد). وانظر: صحيح سنن أبي داود باختصار السند، (برقم 592).

(75) الكتاب لسيبويه، ج3 ص162.

(76) الأزهية في علم الحروف، ص69.

(77) رواه أبو داود في سننه، (الطهارة والوضوء)، وهو في: صحيح سنن أبي داود باختصار السند، (برقم 69).

(78) حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (برقم 312)، الرياض: مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، 1995م.

(79) رواه أبو داود، وانظر: صحيح سنن أبي داود باختصار السند، الحديث رقم 213.

(80) رواه أبو داود، وهو في: صحيح سنن أبي داود باختصار السند، (الحديث رقم 1006).

(81) جذْم الشجـرة وجذيهـا بالياء: أصلهـا. انظر: الأزهري، أبو منصور: **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون وآخرين، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت. (جذم).

(82) الانفكاك ضرب من الوهن والخلع، وهي أن تنفك بعض أجزائها عن بعض. وانفكت: انفسخت. انظر: بن الأثير، مجد الدين: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج3، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د. ت، ص466، وانظر: الصحاح: (فكك).

(83) المشربة: الغرفة. انظر: الزمخشري، جار الله: **الفائق في غريب الحديث**، ج3، تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، 1971م، ص133.

(84) رواه أبو داود في سننه، (الصلاة والأذان والمساجد)، وانظر: صحيح سنن أبي داود باختصار السند، الحديث رقم (562).

(85) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، (الحديث رقم 67).

(86) الخَذْف كالضرب: رميك بحصاة أو نواة أو نحوهما، تأخذ بين سبابتيك تخذف به. انظر: القاموس المحيط، (خذف).

(87) رواه الإمام أحمد في مسنده (برقم3078).

(88) انظر: الأزهري، الشيخ خالد: **شرح التصريح على التوضيح**، ج1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.، ص126.

(89) انظر: مادة (قول) في الزمخشري، جار الله: **أساس البلاغة**، ج4، بيروت: دار صادر، 1979م، ولسان العرب: وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص124.

(90) انظر: ابن مالك: **شرح التسهيل**، ج2، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الرياض: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1990م، ص321.

(91) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1225، (المناقب والمثالب - تعبير الرؤيا).

(92) حسنه الألباني في **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**. المكتب الإسلامي، ط3، 1985م. ورقمه فيه 187.

(93) شمس الفرس يشمس شموساً بالضم وشماساً بالكسر: شرد وجمح، فهو شامس وشموس، من خيل شمس بالضم وشمس بضمتين. انظر: تاج العروس، مادة (شمس).

(94) رواه أبو داود في سننه، (الصلاة والأذان والمساجد)، وانظر: صحيح سنن أبي داود باختصار السند، الحديث رقم (880).

(95) رواه الإمام البخاري في صحيحه، (المناقب - ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من المشركين).

(96) الخلوق: طيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص71.

(97) رواه ابن ماجة في سننه، برقم 754 (المساجد والجماعات - كراهة النخامة في المسجد). وانظر: صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، (برقم 616).

(98) الأدغم من الخيل: الذي لون وجهه وما يلي جحافله يضرب إلى السواد مخالفاً للون سائر جسده. انظر: الصحاح مادة(دغم).

(99) رواه ابن ماجة في سننه (برقم 3120) - (الأضاحي - ما يستحب من الأضاحي). وانظر: صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، برقم 2535 (الأضاحي - ذبائح - صيد - أطعمة - أشربة).

* * *